



مجلة تسلیم



Journal Homepage: <https://tasleem.alameedcenter.iq>
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

تَسْلِيمٌ وَتَجَلِيَّاتُهَا:

تَنَوُّعُ الرَّؤْيِ وَالْمَنَاهِجِ فِي مُقَابَرَةِ النَّصِّ التَّرَاثِيِّ "تَسْلِيمٌ" فِي عَدَدِهَا (الثَّلَاثُونَ) أَمُودَجًا

عليّ مجيد البديري^١

^١ جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية، العراق؛

al_budyri72@yahoo.com

دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

DOI:
10.55568/t.v25i37.213-229

المجلد (٢٥) العدد (٣٧)
شوال ١٤٤٧ هـ . آذار ٢٠٢٦ م



مُلَخَّصُ البَحْثِ:

تسعى هذه القراءة إلى رصد التنوع الحاصل في الدرس النقدي الأكاديمي في مقارنته للتراث بكلّ تشكّلاته وأنماطه وأنواعه، والتوازن في النظرة إليه ودراسته، مستفيداً من المفاهيم المعاصرة، والنظريات، والمناهج النقدية الحديثة، وذلك عبر اختيار العدد (٣٠) من مجلّة (تسليم) العلمية المحكّمة مثلاً لذلك. وهو ما يسهم في ترسيخ ملامح هويّة النقد الأكاديمي في النقد الحديث. ويقلّل ممّا يثار عليه عادة من كونه يركّز إلى محدّدات منهجية تقيّد حركة الباحث، وتختطّ له مسارات محدّدة وصارمة، وقد تجلّت في البحوث المدروسة سمة التنوع في المنطلقات النقدية والمنهجية، في مقارنة متون متنوّعة من التراث، بروح منفتحة ومتوازنة.

Diversity of Perspectives and Methodologies in Approaching Heritage Texts: Thirtieth Issue of Tasleem as Example

Ali Majeed Daowd Albudyri ¹

¹ University of Basrah / College of Arts / Department of Arabic , Iraq;

al_budyri72@yahoo.com

PhD.in Arabic Language/ Professor

DOI:

10.55568/t.v25i37.213-229

Volume (25)

Issue (37)

Vol.25, Issue No. 37

Shawwal, 1447 AH / March, 2026 AD



Abstract:

This study aims to monitor the diversity in academic critical discourse in approaching "Heritage" across its various forms, patterns, and genres. It examines the balance in viewing and studying heritage by utilizing contemporary concepts, theories, and modern critical methodologies, and taking the thirtieth issue of the peer-reviewed journal Tasleem as a case study.

This analysis contributes to consolidating the identity of academic criticism in the realm of modern critique. Furthermore, it challenges the common perception that academic criticism is confined to rigid methodological parameters that restrict the researcher or dictate strict, predetermined paths. Such examined research papers demonstrate a clear diversity in critical and methodological premises, approaching various heritage corpora with an open , scholarly balanced spirit.

مقدِّمة

ينتج التنوع في الرؤى والمناهج النقدية المستعملة في البحث الأدبي تنوعاً في أسئلة مقارنة التراث ودراسته، ويتجلى ذلك على نحو واضح وكبير حين تكون الدراسة مختصة بقراءة متون تراثية متنوعة، تتجاوز كونها مجرد مراجعة نقدية إلى ما يعزز حضور النص التراثي الفاعل، وأثره في الثقافة والفكر المعاصرين. ولأجل تحقيق هذا الأمر كان لا بدّ لمقاربات التراث أن تسعى إلى تحقيق نوع من التوازن في عنايتها بالجوانب المختلفة من النصّ، فلا تكتفي بوصف الظواهر، وتحرص على تحليلها عبر مسارات البحث ومحطّاته.

من جانب آخر كانت النصوص التراثية على مختلف أنواعها وانتماءاتها لخطابات متعدّدة، موضع عناية هذه الدراسات، فكان ذلك بمثابة اختبارٍ لمديات فرادة هذه النصوص، أوّلاً، ولقدرات هذه المناهج وآلياتها، ثانياً، في الكشف عن جماليّات تشكيل هذه النصوص ودلالات مضامينها، واستنطاقها وتحليلها، غير أن ما يجب الالتفات إليه هو أننا نقرأ في بعض الدراسات والبحوث المنجزة في هذا الحقل، استغراقها في بيان جانبها النظري، وحرصها على تقديم مادّة مستوفية لكلّ أبعاد النظرية أو المنهج الذي تتبناه، ويظلّ الجانب الإجرائيّ / التطبيقيّ منها بحاجة إلى أن يكتمل بشكل أكبر، وتُستوفى عناصره على نحو أشمل، فلا شكّ أنّ الجانب النظريّ في البحث تتأكّد أهمّيّته وتزداد كلّما كان متّصلاً على نحو فاعلٍ وموازٍ بالجانب التطبيقيّ، وإلاّ فإنّ ما هو نظريّ يبقى مجرد نقل وتوضيح وقراءة، ينقصها الاختبار الإجرائيّ.

إنّ الدلالة التي يجب أن تكشف عنها الدراسة النقدية هي تلك التي تنبثق من داخل النصّ، لا التي تُسقط عليه من خارجه، وتصادر النصّ، وقد تعمد إلى درجة من درجات تشويه النصّ أو إبعاده عن حقيقته، ومن ثمّ فإنّها ستفود إلى عمليّة تلقّ

غير سليمة، أو تبعد الدّراسة عن أن تكون مساعدة للتلقّي، وتعطلّ وسطيتها بين الباحث والمتلقّي العام.

من المعروف أنّ لدراسة الأساليب التعبيريّة أهداف كثيرة، بعضها يتجاوز مجرّد وصف الكيفيّات، إلى منطقة الدلالة المفتوحة على الحياة، فضلاً عن أنّ دراسة الأسلوب تعنى إلى جانب ذلك بالكشف عن المغايرة في الأساليب، في مفردات النصّ وعباراته، ومن ثمّ تبحث في النصّ عمّا جعل منه مميّزًا مختلفًا عن غيره، وأساس ذلك هو ربط النصّ بالمنجز منه تاريخيًا، الذي ينضوي تحت مظلة تاريخ النوع الكتابي.

من جانب آخر فإنّ دراسة الجماليّات وما يتعلّق بالأسلوب جانب مهم من جوانب الدراسات الإبداعية النقديّة، ولكنّ ربطها بسياقاتها الخارجيّة التي أنتجتها وشكّلت مناخًا لتداولها أمر مهمّ، فهو يكمل صورة حضور النصّ في الواقع سواء الأدبيّ أو الحيّاتيّ بشكل عام، يُخرجه من إطار الأدب إلى فضاء الحياة الأوسع، ويثير في الوقت نفسه أسئلة متعدّدة حول وظيفة الأدب ودوره وهويّته ورسالته في الحياة. أقدم هذه الأفكار بين يدي قراءتي لبحوث مثلت أمّجّاهات متنوّعة في الدرس الأكاديميّ، غير أن ما يجمعها وحدة المتون المدروسة فهي من ذخائر تراثنا الإسلاميّ.

١ - التّناسّ القرآنيّ ودلالاته في الشعر الأندلسيّ في عصر الموحّدين

كان ثراء التّناسّ مع القرآن الكريم قد تجلّى في الشعر الأندلسيّ بعدد أشكال تتبّعها الباحث تحت عناوين التّناسّ مع القصص القرآنيّ، والتّناسّ مع الآيات القرآنيّة، التّناسّ بتوظيف أسماء السور، وفي تمثّلات هذه الأشكال كانت هناك أنماط لهذا التّناسّ فهناك الاقتباسيّ المباشر أو الكامل، والاقتباسيّ غير المباشر أو ما يسمّى بالتّناسّ المحوّر، وهناك أيضًا اقتباس لأسماء السور، وانتهى البحث إلى جملة

من النتائج، كان من أبرزها مجيء التناصّ الاقتباسي التامّ قليلاً في الشعر المدروس، ولا شكّ أنّ هذا عائد إلى طبيعة هذا النمط من التناصّ؛ إذ يُعدُّ ضعيفاً فنياً، يعتمد على الشاعر في حالات يجد فيها ضرورة لتوظيفه على وفق ما يراه، وبما يتناسب مع سياق النصّ وجماليّاته، والمفضّل عند الشعراء بعامة تعاملهم مع التناصّ معه بطريقة يهضمه فيها ويذوّبه، ويعيد إنتاجه بما ينسجم مع السياق الجديد له في المتن الشعري، ومن هنا كان التناصّ غير التامّ والمحوّ الأوفّر حظاً في الحضور في هذا الشعر، وانتهى البحث أيضاً إلى امتياز الشعراء الأندلسيين بتوظيفهم لهذه التقنية واستفادتهم من طاقاتها الجماليّة والدلاليّة في توليد معانٍ جديدة في قصائدهم. وفي الحقيقة فإنّ هذه طبيعة النتائج كانت نسبيّة، تتعلّق بتجارب منتقاة، وفي عصر محدّد من عصور هذا الشعر الطويلة، وكان البحث بحاجة إلى بيان مبررات هذا التخصيص الزمني على نحو أكثر إقناعاً للقارئ بخصوصيّة هذه المرحلة، فضلاً عن خصوصيّة النماذج المختارة دون غيرها، ففي كلّ شعر تتجلّى تناصّات من هذا النوع، بل تكاد لا تخلو تجربة شعريّة منه بشكل من الأشكال، وتبقى دلالة حضور التناصّ في القصائد وقوّة هذا الحضور مرهونة بفتيّة التوظيف، وبراعة الشاعر فيه، فهو ما يمنحه خصوصيّة وامتيازاً عما هو مألوف وشائع.

التسليم للعترة ملقاً معرفياً

في هذا الملف يسلّط الضوء على خصوصيّة الخطاب النبويّ، وخطاب أئمّة من آل البيت (عليهم السلام)، الذي كان، وما يزال، له الأثر البالغ في مسار الحياة الإنسانيّة في مختلف أبعادها ومساراتها في المعرفة والثقافة والمجتمع، تسعى الدراسات فيه إلى مقارنة نصوصه ودراساتها دراسة تحليليّة نقديّة، كاشفة عن مضامينه الإلهيّة الكبيرة، ومزايه الجماليّة والتعبيريّة، بما يعمّق من الوعي النقديّ بأهميّة هذا الخطاب، ودوره في إثراء الحياة بكلّ جوانبها.

٢- الفرائد في خطاب الرسول مُحَمَّد ﷺ

دراسة تحليلية في المقاصد والدلالات

في محاولة البحث الثاني لمقاربة الخطاب النبوي الشريف عمد الباحث إلى دراسة مقاصد هذا الخطاب، التي حدّدها بالإبانة والإفهام والتأثير والإقناع، وهو ما يعني سعي الدراسة إلى الوقوف على الغاية الأساس من هذا الخطاب عبر تأمل الوسائل اللغوية والبلاغية التي تجلّت في الألفاظ، والتراكيب، وأسلوب التمثيل، وكيف توّسل بها الأسلوب البلاغي للخطاب النبوي الشريف في إبلاغ الرسالة المحمّدية الشريفة. واختار الباحث نماذج من الأحاديث النبوية التي اشتملت على هذه الظواهر، عامداً إلى تحليلها، وبيان دلالاتها، وموافقة هذه الدلالات لسياقها، وكان ذلك عبر معاينة الألفاظ والتراكيب، وفرادة التمثيل بأشكاله وأغراضه، فقد توقّف عند التوضيح والتبيين بوصفه غرضاً من هذه الأغراض، وانتقل بعدها إلى الترغيب، ومن ثمّ التهيب، منتهياً إلى بيان أهميّة التمثيل. وقد وصل الباحث في نهاية بحثه إلى جملة من النتائج في دراسته لهذا الخطاب؛ فوجد فيه امتياز اللفظة، وبلاغة الإيجاز والتركيب في الإجمال والتفصيل، وقد أولى النبي ﷺ عناية كبيرة بأسلوب التمثيل في الخطاب، لما له من أهميّة في تقريب المعنى إلى الأذهان، ومخاطبة وجدان المتلقّي، ولحظ الباحث أنّ أسلوب التمثيل النبويّ يتشابه بدرجة كبيرة مع أسلوب التمثيل القرآنيّ، ولا شكّ في أنّ وراء هذا التشابه اتّصال الخطاب النبويّ بمرجعيتّه القرآنيّة. وقد حرص الخطاب على أن تكون هذه الأساليب التمثيلية واضحة، وبسيطة غير متكلّفة، ومقنعة في الوقت نفسه، ومفهومة للعقل والقلب في وقت واحد.

سعى الباحث إلى إظهار المقاصد والدلالات في خطاب النبيّ ﷺ، وتفسير دورها بعد بيان فاعليّة هذه العناصر الرئيسة، التي يبنى عليها الخطاب، ودورها

في تشكيل المقاصد، ولكي يتحقق من الخطاب غايته التواصلية مع المتلقي دفعت هذه الغاية الباحثة إلى تمييز بعض العناصر التي لم ترها ضرورية في تحديد المقاصد، والعناية بعناصر أخرى، رأت فيها أهمها تمثل عناصر رئيسة في تشكيل الخطاب، وأهمها تمثل بشكل كبير المادة التي أنتجت النص وحققت أهدافه.

إن التعامل مع أي حديث للنبي ﷺ وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، يفرض على الباحث النظر إلى ألفاظه وخصائصه التركيبية على أهمها سمة جامعة، للنصوص الحديثية الأخرى؛ إذ يتوافر في كل نص السمات المشار إليها آنفاً، ويتداخل فيه ما هو معرفي مع ما هو روحي وأخلاقي، ولا تنفصل في مثل هذه الحال دراستها تركيباً عن دراستها دلاليًا، بوصف هذه النصوص انعكاساً لخصوصية منشئها (النبي ﷺ وأهل بيته (عليهم السلام)) وبوصفهم مبلغين لرسالة السماء.

٣- الإنسان والمجتمع في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)،

دراسة في مستويات التركيب

يوحي العنوان بأن الدراسة تعني ببعد عميق من أبعاد النص؛ هو المتعلق بفاعليته داخل المجتمع والحياة، بعيداً عن أسوار نصوصيته وحدوده النوعية المميزة له، وسيكون ذلك عبر دراسة مستويات التركيب وتأثيرها في تحقيق هذه الغاية الكبرى، وبذلك فإنها ستحاول أن توازن ما بين عنايتها بهذين البعدين الداخلي: الذي يتعلّق بتركيب النص، والخارجي: الذي يتعلّق بدلالاته ووظائفه في الحياة. إن الجمع ما بين دراسة أسلوب إيصال الأفكار وتقنياته، وبين دلالات ذلك ورسالة النص، يُعدُّ أمراً محموداً في الدراسات الأكاديمية التي لا تفصل ما بين الشكل والمضمون، وقد تجسّد ذلك على نحو ما في هذا البحث، فدرس الباحث مستويات التركيب في هذه الرسالة، وحاول فيها أن يسلط الضوء على كيفية اشتغال الرسالة على إصلاح الإنسان في علاقاته، وتنظيمها عبر أساليب وتراكيب لغوية،

واستعان في الكشف عنها بالمنهج اللُّغويّ الألسنيّ البُنيويّ، الذي يعتني بتحليل البنية الداخليّة اللُّغويّة للنُّصوص، واستخلاص الصور وتقديمها، أو بيان مستويات اشتغالها في النَّصِّ. ابتداءً الباحثُ بالمستوى المعجميّ، مُنتقلة إلى المستوى النحويّ، ومن ثمّ المستوى البلاغيّ فالمستوى الدلاليّ، مبيّنة كيفيّة اشتغال كلّ مستوى من هذه المستويات في تأدية المعنى وتجسيد الدلالة، وكان البحث في شكل عامّ تطبيقيّاً، ابتعد عن الجانب النظريّ، فلم يكن مثقلاً بما هو نظريّ. إلّا أنّ الملحوظ على خاتمة البحث التي كان ينتظر منها أن تكون مُجمّلة للنتائج التي توصل إليها البحث، خلّوها من ذلك، إذ اختصّت بعرض كلام عام عن وصف رسالة الحقوق وقضيّة الإصلاح الاجتماعيّ فيها، وسعيها إلى بناء إنسان واعٍ ومجتمع فاضل، وما يمثّله ذلك من خطاب إسلاميّ بِناء، لا يقتصر في تشريعاته على العبادات والشعائر الدينيّة، فجمع إلى ذلك عنايته بجوانب الحياة المختلفة، ونظّم علاقات الإنسان بذاته أوّلاً، وبأفراد المجتمع وما يحيط به ثانياً، وكناّ نتظر من الباحث أن يبيّن نتائج دراسة مستويات التركيب، وتبيان كيفيّة اشتغالها في النَّصِّ.

٤ - الأسلوبية في أقوال الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام

حاولت هذه الدراسة تلمّس الخصوصيّة الجماليّة والسمات الأسلوبية لأقوال الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام، في سياقٍ، نظر فيه الباحث إلى هذه النصوص بوصفها امتداداً للنصّ القرآنيّ الكريم، ومن هنا جاءت دراسة الانزياح فيها على نحوٍ خاصّ، ليدرس تجلّي هذا الامتداد فيه، ومن جانب آخر نظر في ظاهرة التناصّ بنمطيّه: الاقتباسيّ والإشاريّ، وعلى نحو يربطه بهذه المرجعيّة القرآنيّة أيضاً.

درس الباحث مستويات هذا الخطاب الصوتيّة والصرفيّة والتركيبية والدلاليّة، وتبيّن جماليّات التعبير في هذه المستويات، ومن المعروف أنّ مكتبة الدراسات الأسلوبية عامرة وغنيّة بتنوّعها على المستويين النظريّ والتطبيقيّ الإجرائيّ سواء

ما وضع منها باللُّغة العربيَّة، أو ما نقل منها من اللُّغات الأجنبيَّة المختلفة، والأمر هذا يجعل من التقديم النظريِّ قليل الفائدة بلا شكَّ، وإن كان الباحث قد أوجز ذلك بشكل كبير، إلَّا أنَّ الإيجاز كان عامًّا، لم يفد البحث تمامًا إفادة كبيرة منه، ولأنَّ مسألة إيجاز الحديث عن الأسلوبية لا يمكن أن يتمَّ في نصف صفحة، وأنَّ يكتفى بالإحالة إلى هذه المكتبة الأسلوبية من الكتب والدراسات التي أنجزت في هذا المجال، والدخول بشكل مباشر إلى الجانب الإجماليِّ، ففي المستوى الصوتيِّ نلاحظ أنَّه أورد بعض أقوال الإمام عليه السلام متتبعًا لخصائص الفيزيائية للأصوات، ودلالات ذلك، وأثرها في القول، وكذلك ما يمثِّله تكرار الحروف من اتِّساق مع الأنساق النَّصِّيَّة لتأدية دلالة معيَّنة، يهدف منها إلى التأثير في المستمع، وكذلك في المستوى الصرفيِّ سلَّط الباحث الضوء على التحكُّم والتنوُّع في استعمال الأزمنة الثلاث في الجمل (الماضي والحاضر والمستقبل)، وفاعليَّة حضوره في الأقوال عبر الاختلاف والائتلاف، مبيِّنًا كيف أنَّ استعمال الأفعال بصيغ معيَّنة، يحمل دلالة نفسية في ضوء السياق الذي وجدت فيه، وهذه الدلالة لا تنفصل عن الغاية من الرِّسالة التي يريد الخطاب خطاب أن يبلغها إلى المتلقِّي. واعتنى المبحث الثاني بدراسة المستوى التركيبيِّ، ودوره في إنتاج مضمرة النصِّ وظواهره ودلالاته العميقة، فضلًا عن جماليَّاته، فبين طريقة البناء وترتيب الجمل ودراسة الجمل الخبرية والإنشائية وما فيها من سمات تركيبية ارتبطت بدلالات معينة حاولت إيصالها، وكذا الأمر مع الجمل الإنشائية. وفي المستوى الرابع الدلاليِّ اعتنى الباحث ببيان مدى مناسبة أساليب هذا المستوى للمعنى المختار برؤية شاملة.

توسَّل الخطاب المدروس المستويات الثلاثة السابقة في تأدية الدلالة، وكان للسياق تأثير في توجيه مستويات التركيب، فبتغيُّر السياق يتغيَّر الإيقاع الذي تأتي فيه الكلمات، بما يتناغم مع الدلالة. وانتهى البحث إلى بيان مالالإيقاع من أثر في أقوال

الإمام عليه السلام، وكيف أنّه جاء مُنْسَجَمًا، له وقع مؤثّر في السامع، كما أدّت المشتقّات والمصادر بدورها دورًا فاعلاً وكبيرًا في تشكّل هذا الإيقاع وأتساقه وتناسقه مع الدلالات المعنويّة، وانتظمت التراكيب بشكل تجلّي في سمة الجمل الخبريّة، وترابطها في التعبير عن التفصيل والأخبار والنقد والشرح، وكذا الجمل الإنشائيّة، وكانت الطاقات التعبيريّة في أقوال الإمام عليه السلام قد أظهرت قدرة على استظهار الدلالات داخل النّصّ.

لقد كان الأدقُّ علميًا أن يكون العنوان (أقوال الإمام الباقر عليه السلام)، دراسة أسلوبية (فالأسلوبية منهج من مناهج النقد الأدبيّ الحديث، ويفهم من عنوان الباحث أنّ الدراسة معنيّة بالبحث عن ملامح المنهج وأسس النظرية ومفاهيمه في أقوال الإمام عليه السلام!!)، وهو ما لا يريده الباحث بالتأكيد، فضلًا عن ذلك، كان من المهم أن نجد تمييزًا للنوع الأسلوبية التي سيدرس المتن في ضوئها، فهي متعدّدة الاتجاهات، منها الإحصائيّة، والسياقيّة والسيميائيّة وغيرها، وكان من المفيد جدًّا أن نجد اهتمامًا بنوع من هذه الأنواع في دراسة نصوص الإمام عليه السلام والكشف عن خصوصيته.

٥- حكم الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومواعظه، دراسة بلاغيّة

في أدب الحكم والمواعظ لا شكّ أن مجال البلاغة مجالٌ رحب؛ ذلك أنّ هذا النمط من فنون القول يعتمد في بنائه بشكل محوريّ وفاعل على أبرز تقنيّة أو أسلوب من أساليب هذا الفنّ، وهو الإيجاز وجماليّاته في التكتيف والإيحاء، إذ يحرص المنشئ في جملة الحكمة التي يكتبها على أن تكون عميقة في الدلالة واسعة في الإيحاء، وفي ارتباطها بالحياة وبطبيعة الإنسان ونوازعه ومشاكله وتفاصيل حياته وذلك بأقصر عبارة وأوجز قول. ويعدُّ هذا الأمر مجالًا رحبًا لأن يُدرس دراسة بلاغيّة، بشرط أن يحذر الباحث في دراسة النماذج المختارة من الوقوع في أن تتحوّل الدراسة إلى مجرد تمرين يورد فيه أمثلة لبعض خصائص النّصّ البلاغيّة من غير أن يتجاوز ذلك إلى

بيان خصوصية وظيفة ذلك في المتن المدروس، ومعرفة دوره في إنتاج الدلالة، ومن ثمَّ التأثير في المتلقِّي، فهذه الأساليب البلاغية وظائف داخلية، تختصُّ بالنوع الأدبي وطبيعته أولاً، وبطبيعة التجربة المدروسة، ثانياً.

اعتنى البحث بدراسة حِكمِ الإمام الصادق عليه السلام ومواعظه عبر تسليط الضوء على ظاهرتي الانزياح والتناص، ودرس الباحث تحت عنوان الانزياح تحقُّقه في مستويين: دلاليٍّ وموسقيٍّ، فتوقَّف عند دراسة الصور البيانية، وظاهرة التنعيم المتحقِّق عبر إيقاع التكرار والسجع، من دون فصلهما عن مديات تأثيرها في المتلقِّي. وكذا الأمر فيما يتعلَّق بالتناص الذي دَرَس تحت عنوانه نمطين منه: الاقتباس النَّصِّي، والاقتباس الإشاري. وانتهت الدراسة إلى تأشير امتياز الصورة في حِكمِ الإمام عليه السلام وبيان دلالاتها ودورها في إيصال الدلالة إلى المتلقِّي، وكذلك ما أحدثه الإيقاع من انسجام كبير، بينه وبين السياق، وبين الصَّوت والدلالة، وما نتج عن ذلك من اتِّساق في الشكل والدلالة معاً، وامتاز أيضاً بالتكثيف الدلالي في تأدية جملة من القيم الأخلاقية، وإيصالها على نحوٍ سريعٍ ومختصرٍ إلى المتلقِّي، وفعل التناص فعله في إثراء الدلالة وجعل مرجعياتها قرآنية في معظمها، وجعل هذه الحكم أداة للتغيير والتأثير في المتلقِّي.

إنَّ ما يمكن أن تؤسَّر من ملاحظة على الدراسة، هي ما تتعلَّق بالعنوان، فقد حدَّد العنوان الثانوي لها بكونها دراسة بلاغية، وهو ما تجلَّى في منهج الدراسة الذي بدا متماسكاً، في دراسة الانزياح عن المؤلف اللُّغوي وبيان تأثيره في المتلقِّي، وكذلك فعل مع التناص الذي درسه بوصفه تفاعلاً نصِّياً يهدف إلى إثراء الدلالة وتعميقها، ومن ثمَّ دراسة هذه العناصر من ناحية تأثيرها في المتلقِّي، وهو ما يمثل جوهر البلاغة، وكان ذلك بحاجة إلى بيان التوسيع المفهومي لمصطلح البلاغة، في تمهيد

نظريّ قصير، يعتني بتوضيح حداثة الانزياح بوصفه مفهوماً أسلوبياً جرى تطوير دراسته حديثاً، وحداثة مفهوم التّناس أيضاً، وصلته بالنقد الحديث، وثمّ يبيّن كيف يتقاطعان مع البلاغة العربيّة، وكيف أنّها أخذت مديات أوسع في الدراسات النقدية الحديثة، ومع ذلك يبقى نجاح هذه الدراسة في أنّها ربطت ما بين هذه المفاهيم وتحققاتها في تركيب النصّ بالتأثير والجماليّة والإقناع والمقام والمتلقّي.

٦- دعائم التحليل النحويّ عند الهرمي في كتابه "المحرّر في النحو"

في الدراسة التي حملت عنوان (دعائم تحليل النحوي عند الهرمي في كتابه "المحرّر في النحو") عمد الباحث إلى تسليط الضوء على دور مهمّ لعلم من أعلام النحو، في كتاب له، متوقّفاً بشكل خاصّ عند القواعد والأصول النحويّة، وآراء الهرمي وما يتعلّق بها، ودرس كذلك إدراك المعنى ومعرفته بعلوم العربيّة، وكيف أنّ ثقافته الواسعة قد تشكّلت عبر هذا الإدراك والمعرفة، واستعان بها في التحليل النحويّ.

نجح الباحث إلى حدٍ كبيرٍ في تتبع الأسس العلميّة التي اعتمدها الهرمي في التحليل النحويّ، وهو ما يجسّد طريقة تفكيره واستدلالاته، وقد كان ذلك عبر المنهج الاستقرائيّ المتّبع في الدراسة، فاستخلص القواعد والسمات العامّة لمنهج الهرمي في التحليل، ولا شكّ في أنّ اعتماد الاستقراء منهجاً، قد منح الدراسة موضوعيّة في التشخيص، وجنبها الوقوع في إعمامات متسرّعة، فالتائج كانت مبنية على شواهد حقيقيّة من كتابه، هي أقرب إلى الواقع من غيرها، فضلاً عن أنّ التحليل الوصفيّ الذي اعتمده الباحث أيضاً، ساعده في فهم المصطلحات ضمن سياقها الخاصّ في كتاب المؤلّف، وفي سياقها التاريخي الذي كتبت فيه، وكان يربط ما بين القاعدة والتطبيق، على نحوٍ ناجح وكبير. لقد كان الجمع ما بين الاستقراء والتحليل في هذا البحث يهدف إلى وضع التراث تحت مجسّات

التحليل العلمي الحديث، واستخلاص النتائج، والسمات العلمية المميزة لآراء علم من أعلام النحو العربي، في كتاب من كتبه المهمة.

٧- هاشميات الكميت بين التجديد والتقليد

إن معاودة قراءة شعر الكميت، وبخاصة هاشمياته، عن الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت شعره واختصت به، لا شك أنه يمثل تحدياً كبيراً أمام الباحث في إضافة جديد لم يكتشف في التجربة، وفي مجال التجديد والتقليد على نحو خاص، وبالتحديد في هذه القصائد التي كتبها الكميت، وسبق أن درسها الباحثون من جوانب وأبعاد فنية ومضمونية مختلفة، وقد عمد الباحث إلى حصر ما رآه تجديداً وأعاد تبويبه على نحو يورد فيه نماذج من شعر الكميت، يعزز بها رأيه، ويجعلها أمثلة على عناصر التجديد، أو عناصر التقليد التي يريدها، فكان ذلك محاولة لتقديم قراءة أخرى لهاشميات الكميت، حاولت أن تتجاوز الوصف إلى التحليل النقدي.

واختصت هذه المقاربة بدراسة المقدمة الطللية، وما فيها من خرق للمألوف من بنائها التقليدي، فحاول الباحث أن يدرس ما رآه تجديداً في مقدمات هذه القصائد التي كتبها الكميت في مدح أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ثم انتقل إلى بيان ما جعل الشاعر مقلداً من جانب آخر في صورته الشعرية، ومعجمه اللفظي، الذي كان ينتمي إلى عصر غير عصره، كما يرى الباحث، إذ كانت لصيقة بمرجعيتها الثقافية، متمثلة بالبيئة المكانية الجاهلية وصورها وألفاظها، وتعد قضية التجديد معروفة عن الكميت في افتتاحيات قصائده التي نحى فيها منحى خطابياً نتيجة الموجه العقدي الذي كان فاعلاً في توجيه منهجه في الكتابة، فكان يحاول الدفاع عن حقوق الهاشميين، مما دفعه إلى الابتعاد عن نمط المقدمة الطللية والغزلية، التي لا تمت إلى موضوعه بصلة، وانتقل إلى انشغاله بأهل البيت (عليهم السلام)، وانصرفه إليهم، وانعكس ذلك على أسلوبه،

واستعماله لتقنيّات الحجاج في هذه المقدمات، فلم تكن الغاية فنيّة بقدر ما كانت للتأثير في المتلقّي عبر الإقناع، لأنّه يناقش الأمر من جانب عقديّ، والحقيقة أنّ في تشخيص هذا الأمر على أنّه تجديد لا يخلو من مبالغة، فلم يكن هدف الخروج عن المألوف لتكريس إبعاد القصيدة عن عمودها المتعارف، فقد كانت سطوة وظيفة القصيدة ورسالتها، والتزام الشاعر وعقيدته تمثّل الدافع الكبير والفاعل إلى تغيير منهجه في الكتابة، في التقليل من شأن الطلل والغزل، والانتقال إلى موضوعة أهم، ومن ثمّ استعمل في المقدّمة، وسائل كان مجالها الحقيقيّ الخطب والمناظرات، وكان يقصد من ذلك أن يؤثّر في المتلقّي، ويقنعه بما يريد إيصاله من أفكار وقناعات.

ومن هنا كان ما شخّصه الباحث من تقليد في هذه المقدمات وفي غيرها من بقاء اعتماد الشاعر الصور الشعريّة والألفاظ والمعجم الشعري الخاصّ بالبيئة الجاهليّة كما هو، أمر طبيعي، ونتيجة متوقّعة لدافع غير فنيّ.

٨- تقنيّات الحجاج عند السيّد محمّد مهدي الخرسان

قراءة في كتابه "السجود على التربة الحسينيّة"

اعتنى البحث الأخير من العدد بدراسة تقنيّات الحجاج عند السيّد محمّد مهدي الخرسان قراءة في كتابه (السجود على التربة الحسينيّة)، وفيه حاول الباحث أن يقف عند الوسائل التي اعتمدها السيّد الخرسان في مناقشة مسألة خلافيّة، هي السجود على التربة في الصلاة، وما يتطلّب إثبات ذلك من إيراد حجج وبراهين وأدلة عقليّة وحديثيّة اعتمدها السيّد الخرسان في كتابه، وعمد إلى دراسة هذه الوسائل من خلال تقنيّات الحجاج المستعملة في طرح الموضوع ومناقشتها، مفيداً من قوّة حضورها في الكشف والإقناع والتحليل والمعالجة، ولذلك كان وجود هذه التقنيّات وجوداً حيويّاً في خطاب الكتاب، وطأ الباحث لذلك بتحديد مفهوم الحجاج وتعريفه، ومن

ثمَّ بيان تقنيَّاته التي تستعمل، منتقلاً إلى توظيف هذه التقنيَّات، وفحص تجليَّاتها وتمثُّلاتها في الكتاب، ومنها الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم وبعض التقنيَّات التفصيليَّة؛ كالحجج شبه المنطقيَّة، وتقنيَّة المشابهة، والكيل بمكيالين، وغيرها. وكان منهجه في ذلك التَّنقُّل بين المقدمات والتقنيَّات الحجاجيَّة، بما يناسب المقام والمقال، ويوضِّح في أحيان كثيرة تسلسل الحجج وربطها بين وظيفتين؛ حجَّة ونتيجة، ومن ثمَّ تكون النتيجة حجَّة لنتيجة أخرى، فتبني الحجج هرميًّا منه.

من الواضح تمامًا وعي الباحث بضرورة الاستفادة من الجانب الحجاجيِّ في البلاغة من خلال الوعي البلاغيِّ المعاصر الذي جاءت نظريَّاته في البلاغة الجديدة وما لذلك من صلة بالجوانب السيكلوجيَّة واللُّغويَّة والأسلوبيَّة، وهو ما يعدُّ اتِّجاهًا علميًّا حديثًا في حقل البلاغة. فرضت طبيعة الكتاب الذي هو في جلِّه عبارة عن مناقشة لقضيَّة مختلف فيها، أن تعتمد خطابًا إقناعيًّا، درس فيها قضية المقام الخطابيِّ، وأثر ذلك على طبيعة الحجج والأقيسة والاستدلالات، وانعكاسه على أهداف الكتاب ومقاصده.

مراجعة عامة

تفاوتت الدراسات في مديات اقترابها من النصوص التراتيَّة التي سعت إلى إعادة قراءتها، بين أن تكون قريبة من واقعها وروحها ودراسة تظاهرات القوَّة فيها، وبين أخرى قليلة القرب منها، وربَّما اكتفت بأن جعلت من النصِّ مادَّة تطبيقية لما سبق أن ابتدأت بالتنظير له في بداية البحث، ولكن البحوث في النهاية جمعها الشعور بأهميَّة معاودة قراءة النصِّ التراتيِّ قراءة جديدة في ضوء معطيات المناهج الحديثة. وكان هذا التحليل مشفوعًا بإصدار أحكام معيارية تتعلَّق بأسلوبيته وتراكيبه ودلالاته وتقنيَّاته، فضلًا عن ذلك اعتنت بعض البحوث ببيان أثر هذه المزايا النصِّية في

القارئ، ومدى حرصها على تحقيق اهتمامه بالنصّ ودلالته، أي إنَّها درست مقاصد النصّ وغاياته فيما يتعلّق بالتلقّي والتأثير.

على الرغم من التنوّع النسبيّ في المتون الأدبيّة المدروسة في هذه البحوث فإنّ ما طرحه من مقاربات لها، يؤكّد قضيّة التواصل والتفاعل العلميّ النقديّ مع التراث، وإثراء الوعي بضرورته والانتماء إليه. وهذا ما جعل من هذه البحوث ساعيةً إلى ترسيخ الجانب الإجرائيّ في التعامل مع نصوص التراث، والاستفادة من المناهج النقديّة في هذه القراءات، ولم تجعل من التنظير والتقعيد هدفًا لها، أو جانبًا يُزاحم الهدف الرئيس الإجرائيّ في البحث، فابتعدت عن أن تكون مثقلة بالمصطلحات والمادّة النظرية والاستغراق فيها.

من الطبيعيّ جدًّا أن تتفاوت مستويات بروز شخصيّة الباحث النقديّة، وتفاوت مستويات قدرتها على تمثّل الرؤية النقديّة وتوظيفها في الإفادة من إمكانيّات المنهج المستعمل في الدراسة، ولعلّ في هيمنة حضور صوت المنهج في الدراسة تارة، أو خفوته لصالح ظهور الرؤية الخاصّة للباحث، يعدّ من العلامات المألوفة في النقد الأكاديميّ الذي يسعى إلى تأكيد خصوصيّته، وتسعى بعض الأقلام فيه إلى كسر الصورة النمطيّة الذي وضع فيها.

إنّ ما قدّم في هذا العدد يعدّ رصيدًا علميًّا جديدًا يُضاف إلى رصيد المجلّة أوّلاً، وإلى رصيد مكتبة الدراسات العربيّة ثانيًا، التي تعنى بالتراث وغيره، وعلى نحو خاصّ النقد الأدبيّ بشتّى مجالاته، وكذلك يعدّ إضافة ناجحة نسبيًّا، في التواصل ما بين النظريّات والمناهج الحديثة ومجالات تطبيقها المتعدّدة. ومن الطبيعيّ أن يكون هناك تفاوت في مستويات هذه البحوث، إلّا أنّها مع اختلافها في التكامل وغيره، تظلّ دراسات غنيّة غالبًا، حاولت أن تقدّم معلومة دقيقة

بعيدة عن الإعام، وملتزمة بهدفها في أن تحقق اقتراباً أكبر من روح النصوص المدروسة ودلالاتها.

تبقى رحابة مجلّة (تسليم) في ضمها بحوثاً يجمعها الهدف المعرفي السامي في مقارنة التراث العربي الإسلامي، والكشف عن خصوصياته ومزاياه هو الجامع، وهو الأمر الخلاق الذي ما برحت المجلّة السعي إليه والحرص على تحقيقه في كل عدد يصدر ضمن منهجها ومشروعها، بما يجسّد لهذه المجلّة صوتها الفارق وإضافتها المعرفية الخاصة بين مجلاتنا العلمية المحكّمة.